الصحافة والادب

ليس من دليل على انتشار الروح الادبي وازدهاره ، وإقبال الناس عليه ، اقوى وأوضح من الصحافة اليومية وقد فتحت له صدراً رحباً ، ولسنا في حاجة الى التبسط في ذكر عناية الصحف بالادب واهتمامها به ، لان رسائل الادباء التي ترد تترى على ادارات الصحف وهي حافلة بضروب شتى من البحوث تنشر تباعاً ، لهي البرهان القاطع على الانتشار والازدهار ، انما حاجتنا أن نعرف هل الادب — وهو فن معرفة الحياة — تغلغل في نفوس أصحاب الصحف والمهيمنين على تحريرها كما هو متغلغل في نفوس الأدباء والمتأدبين؟ وهل عناية الصحافة بالأدب مجرد إنسياق تجاري يرضي القارىء من جهة ويدر الربح على صاحب الجريدة الذي يستغل ميول الناس وعواطفهم من جهة أخرى ؟ وهل صقل الادب نفوس الجميع ـ العارض والطالب ـ وهذب اذواقهم وبلور أحاسيسهم ، وأرهف غرائزهم ، ونشط عقولهم ، وحفز فضائل القوى الكامنة التي أدخرتها الطبيعة في نفوسهم لتظهر بالمظهر الدال على المعرفة ، والمعرفة أسمى صفات يتحلى بها الانسان ، وهل حرّ

الادب نفوس الجميع فجعلها صافية نقية تنظر الى الحياة بمنظار أدبي صاف نقي ، أو ان التمشي مابرح يغبش صفاءها ويغمش نقاءها ؟ وبعبارة أصرح وأوضح ، هل للصحافة سلطان مستبد ظالم على الادب والادباء كما لها من سلطان جبار قاهر على أصحاب الرأي والفكر من غير الادباء ؟

حوادث ثلاث دعتني الي اثارة هذه المسألة: الاولى

(١) أخرج الكاتب الفرنسوي ليون دوديه ، المعروف في الاوساط السياسية والأدبية وهو من زعماء الحزب الملكي في فرنسا كتابا عن « المرأة والحب » فتناوله صديقه موريس بوجو ، وهو ساعده الأيمن ونصيره في بث دعايته الحزبية بنقد شديد نشره في جريدة « الاكسيون فرانسيز » التي يشرف على تحريرها ليون دوديه نفسه

المسألة الثانية « وضع الكاتب الاشتراكي » اوجين دابت قصة جديدة تؤيد المذهب الاشتراكي ولكنها لا ترضي الادب والفن فكان من صحيفة « موند » الاشتراكية أنها ميزت بين المبدأ الحزبي والواجب الادبي ونقدت القصة باخلاص وصراحة فاسرع الكاتب يشكر رئيس تحرير الجريدة ويبدي خالص إعجابه بموقفه الذي فصل به بين السياسة والادب ودافع عن

---

(١) عن كتاب صوت الجيل لابراهيم المصري

حرمة الادب وحريته واستقلاله »

أما المسألة الثالثة فهي مقال كتبته في نقد عمل أدبي لرئيس إحدى الصحف اليومية فاعيد إلي ، بحجة « أن ليس من اللياقة والذوق نقد زميل نحرص على زمالته » اهـ

أوردت تفصيل الحادثتين الاوليين للاستدلال بهما على الحادثة الثالثة ، ولا ظهر البون الشاسع بين صحافتنا وصحافة الغرب ، والفارق العظيم بين ضيق صدر كتابنا وسعته عند الامم الحية ، وكيف نحنق الفكرة عندنا بادعائنا الذوق واللياقة والحرص على الزمالة ! !

لا يسعني وأنا في هذا المجال إلا أن أقول أن مجالات الادب واسعة، وخطوات أدباء الشباب جريئة وصادقة إلا أنها لا تتكافأ مع « حنجلة » أصحاب الصحف والمهيمنين على تحريرها ، وأن الحرية الادبية ما انفكت القيود تهيض أجنحتها والسلاسل تغل أعناقها ، والتقاليد البالية تشوه جمالها ، ولا يسعني أيضاً إلا أن أرجو من أصحاب الصحف بالحاح والحاف أن يطلقوا الحرية لاقلام النقاد ، فالحرية وحدها تضبط النزوات وتكبح جماح النفس ، وتهدي بوحي منها إلى السبيل السوي ، وهي وحدها تنطق الكتاب بالصدق وتلجم الالسنة والاقلام عن التجني وعن التعسف أيضاً، فكما أن الادب ترجمان الحياة الصادق ، فالحرية

لسان الادب الصادق الامين ، فان لم تفتح الصحافة صدرها للادباء والنقاد ، ولكل نوع وشكل من أنواع النقد واشكاله يبقى الادب مغلولا وتبقى نهضتنا مقيدة مشوهة .

فكري أباظة توفيق هيب

أعود بالحديث عن الأدباء الذين لا هم بشباب ولا بشيوخ فأقول كتب فكري أباظة مقدمة لكتاب « رحلة الصيف » لواضعه « صحافي عجوز » كاتب هوامش الأهرام المعروف، نحا بها نحوا بارعا في تصوير المؤلف ووصف شخصيته وابراز ما فيه من مزايا بأسلوب تقريري بسيط خلو من التقعر والمحسنات اللفظية وافتعال الاسجاع الميتة التي قرأنا نماذج منها في مقدمات شعراء الشباب ، ولعل روح الفكاهة المتأصل في نفس الأستاذ أباظة والملازم له في أكثر مواقفه العامة، المرفرف دائما على كتاباته هو الذي جعله يثني عن الكتاب ويتناول شخصية مؤلفه فيفيض عليها أشعة وظلالا ويسبغ عليها صفات ومزايا . وروح الفكاهة هذا جعله « يجبر بخاطر » المؤلف ويداعبه بقوله له « الدهر بالعتاقي » ولان مجال القول الفكه فى الصحافي العجوز واسع » !

ان روح الفكاهة الذى يداعب ويمازح ولا يغاضب ولا يخاصم لا يمكن إلا أن يلزم الأستاذ أباظة الكاتب الفكه إلزاما قهريا إلى الاعراض عن المجابهة الصريحة والالتواء عن الكتاب تغاضيا

عن موقف الجد والتعلق بالكاتب نفسه والتلويح بمكانته بين الكتاب « المحضرمين » والاشارة الخاطفة إلى الفروق بين كتاب الصحف في العهدين القديم والجديد قائلا « يمتاز صحفيو العهد القديم بأنهم كانوا يمتزجون بالبيئات والاوساط امتزاجا تاما فدراساتهم كانت دراسات بسيكولوجية عميقة وليس هذا شأن صحفيي اليوم الذين يذهبون إلى مكاتبهم فيكتبون كتابة الاستنتاج والاستلماح لا كتابة الامتزاج والاختلاط »

والاستاذ أباظه الكاتب اللبق الذي يلجمه روح الفكاهة عن مجابهة الحقائق ويلزمه النظر إلى الحياة « نظرة باسمة » (أقول نظرة باسمة لا هازئة ولا ساخرة لأنه ليس في كتاب العربية من يجيد هذا الضرب العبقري) لا يجرؤ فيقول لمؤلف كتاب « رحلة الصيف » أن كتب الرحلات تمتاز باللمحة والمعاينة والمراقبة والاستقراء والاستنباط والاستنتاج والوصف الدقيق وأن هذه المزايا معدومة أو هي غير موفورة في بحوث الكتاب ويأبى إعلان هذه النقائص البادية في الكتاب فيتخطاها إلى شخص الكاتب فيتكلم عن « الصحافي المجوز » وبساطته ويعترف له بأنه « حين يكتب إليك لا يكذب عليك » « وأنه مصري بمعنى الكلمة وأنه «خزانة تاريخية » لا يحتاج الى مقص ولا إلى نسخ ولا هو « مقصدار » وأنه في كتاب «رحلة صيف» لا يهوش على قرائه بالتعليقات الطويلة

لا تنس أن الأستاذ أباظه « محام أهلي » وأن الادب صفة عارضة عنده، قد تتمركز وتتمقعد حسب الظروف وقد تتزلزل وتتدك وفق المناسبات ، ولا يفوتنك أن كثيراً ما يستعين المحامي بالسجايا والمحامد والأخلاق يفتعلها لموكله يغشي بها على عيون القضاة يدفع بها شدة القانون ويستجدي بواسطتها رأفة القضاة ، وقد تكون براعة المحامي أباظه أمدت تأدبه بنجدة من الطراز « الافوكاتي » فسطرت مقدمة هيمنت بها على عقول القراء فجعلتهم يصدقون أن الصحافي العجوز ليس صوتاً خارجاً من قبر ولا كاتباً تلوح له صور الموت وأشباح الفناء فيدب اليها ساخطاً على الموت حانقا على الشباب متبرما بالعجز بل هو « كاتب دقيق الملاحظة لماح خبيث يقفش القفشة ويبسطها بسطا متواضعا ممزوجا بالسذاجة الطفلية فيفهم الطيبون (الطيبون فقط) من القراء أنه لا ينفث السم الزعاف » .

ألست تحس وأنت تقرأ كلام أباظة في « عجوزه » أنه مدسوس مدخول على لغة الأدب مستمار من (حفلطة) المحامين مستمد من «الحيثيات والمذكرات » المألوفة في لغة المحاماه ؟ انه ليخيل إليّ أن لو كان كاتب مقدمة كتاب (رحلة صيف) في موقف الناقد النزيه أو موقف الخصومة لقال في (عجوزه) أنه كاتب رحالة مقعد يصف وهو مسجى على نقالة ما يراه بمر

حاملوها في الشوارع الواقعة بين الفنادق ومحطات سكة الحديد وبعض المحال العمومية فان وصف ، فانما يصف النقالة والنقالين والمشاهد البسيطة التي شاهدها وهو محمول في الطرق العامة ، ولو ألزموه البينة على ذلك لاقتبس أية فقرة من هذا الكتاب كالفقرة التالية مثلا

« الباخرة أنقره تسير في هدوء واتزان واطمئنان بين أزمير وبيريه وقد عاد الصحافي العجوز إلى رواية أكل وشرب ونوم . وليس في الباخرة مصري واحد ولكن الصالون وغرفة المائدة في الباخرة خير وسيلة للتعارف وكان أول من عرفتهم في الباخرة أنقرة فتاة إسرائيلية تركية هيفاء دعجاء قالت انها آتية من استامبول إلى أزمير وهي مسقط رأسها ونزلت فيها ثم تعرفت إلى عائلة تاجر يوناني اسمه رومولوجو مؤلفة من ثمانية أشخاص بين رجال ونساء وأولاد ولم يكن في النية النزول إلى أزمير ولكن هذه العائلة الكريمة أبت إلا أن أصاحبها فى زيارة المدينة الخ الخ »

ألست تقرأ في هذا الكلام المنقول بنصه من كتاب « رحلة صيف » لصاحبه الأستاذ توفيق حبيب الملقب « بصحافي عجوز » الدليل القاطع على أنه كاتب رحالة مقعد أو هو فى حكم المقعد يصف المرئيات وهو مسجى على نقالة؟ ألست تجد أيضا أن كاتب

المقدمة نحا نحوا بارعا فى الالتواء والتهرب من القول الحق ؟

لعمري أن ذلك لتهرب من الأستاذ فكري أباظه كان فى استطاعته وهو البارع اللبق أن يقدر الكتاب الذي كتب مقدمته ، تقدير رجل خبير لا يضيره أن يثمن السلعة التي كلف تثمينها ، وليس عيباً منه أن يضع الكتاب في المكان اللائق به ولكن صناعة المحاماة من ناحية ، وتأصل روح الفكاهة فيه من ناحية أخرى وعدم تحرر النفس الأدبية عنده تفسد عليه حتما مواقف الجد والنزاهة وقول الحق وتضطره إلى الكناية والاشارة والتلميح ، والصدوف عن القول الصريح الحر وهذا ما يحدو بنا إلى ابقاء الاستاذ في «المطهر» حتى يؤون أوان نقله إما إلى جهنم الشباب أو إلى جنة الشيوخ ولكنه إلى هذه أقرب وأصلح

انطونه الجميل — احمد الصاوي محمد

يعتقد انطون الجميل بك انه كاتب ناقد. ويصرّ على أنه أبعد الكتاب عن المغالاة والاطناب ، يلمح ويلحف ، ويحاج ويؤكد انه ضنين الضن كله في إعطاء الانسان أكثر مما يستحق ووصف الاديب بغير الصفات والملكات البارزة فيه ، ويقول أيضاً انه درس وحلل شخصيات طائفة محترمة من أفذاذ الشعراء امثال ولي الدين يكن وطانيوس عبده واحمد شوقي وخليل مطران فوفاهم حقهم كاملا من النقد الكامل ، اي قال فيهم مالهم وما عليهم وأبرز بوضوح نواحيهم كلها بدون تردد ولامحاباة ، ويقول أشياء أخرى لوصحت ، لكانت خليقة بان تضعه في طليعة البانين بناء النقد الادبي في مصر ولكان جديراً بان يكون في مقدمة رواد هذا الفن

ليس يعنينا مايقوله الانسان عن نفسه ولاما يتوهمه في صفاته بقدر ما تعنينا معرفة الناس لذلك الانسان وتقديرهم صفاته وملكاته .

فانطون الجميل أديب عرفته الاوساط الادبية قبل الحرب الكبرى وعرفت فيه الخطيب المفوه لجمعيات الخير واجتماعات المدارس وحفلات الرثاء والتأبين ، وعرفت فيه الكاتب

البيوغرافي يحلل شخصيات الشعراء والادباء والاحصائي المدقق « لحالات الجوع والمجاعات» والمؤرخ البارع «للطائفة المارونية » والباحث في «التسامح والاقتصاد والنظام المنزلي » والمؤلف روايتي «أبطال الحرية» «والسموأل» والشاعر الذي نظم الشعر باللغة الافرنسية ونسيه مع كل ما نسي من حوادث حياته كلها قبل الحرب !

عرفته الاوساط الادبية وعرفت فيه كل هذه الصفات والخلائق والسجايا قبل ان عرفته رئيساً لتحرير أقدم جريدة تصدر في مصر ، ولست أزعم اني سأتعرض لشخصية الرجل التي لابستها الحالات كثيرة الشعاب التي ذكرت ، ولا الى الطارىء السياسي الجديد الذي طرأ عليه، انما أحاول تلمس طابعه والتعرف

على لونه الادبي من ناحية كتابة مقدمات الكتب لانها وحدها في نظري كفيلة في إظهاره على حقيقته قمينة بتوضيح نوع معدنه ومعيار وعيه وادراكه وهي التي تدلنا على مقدار تحرره الفكري واندماجه بالروح الادبي . كتب انطون الجميل مقدمة لكتاب «ماقل ودل» لمؤلفه احمد الصاوي محمد قال فيها كلاما يدل على أنه لايعرف الصاوي ، ولم يكلمه ولم يختبره قط أو انه كان يقصد حين كتب تلك المقدمة شخصاً آخر ليس ثمة شبه أوصلة بينه وبين الصاوي قال فيها « ليس مؤلف هذه المجموعة ، ولا مجموعته هذه، في حاجة الى التقديم . أما المؤلف فقد اقتعد مكانه في عالم الكتابة بما أنتجته قريحته من التصانيف الطريفة . واما هذه المجموعة ـ وهي منتخبة مما يكتبه كل يوم في «الأهرام» بعنوان «ماقل ودل» ـ فقد عرفها القراء قبل ان تضمها دفتا هذا الكتاب

« لهذا كان المؤلف في غنى عن التقديم والتعريف ولكن الاستاذ الصاوي ـ على مافي كتابته من جرأة ، وعلى مافي آرائه أحيانا من تطرف ـ رجل يغلب عليه الحياء ..... فلم يكن بد ، والصاوي حيي خجول ، من ان يتقدم أحد أصدقائه فيأخذ يده بيده ، ويأخذ كتابه باليد الاخرى ، ويقول للقراء « هذا الصاوي ، وهذا كتابه » !

إكتشاف غريب وبشرى جديدة يزفها الجميل بك لقراء

العربية ، لقد اكتشف سراً هائلا ، لقد اكتشف شاعراً عبقريا وأديبا موهوبا كما اكتشف ايليا أبي ماضي من قبل ، لقد اكتشف ماهو أعظم من شاعر عبقري وأديب موهوب .. لقد اكتشف ماذا اكتشف ؟؟ . . . لقد اكتشف «الحياء» في احمد الصاوي محمد ، ولم يرمحيصاً بعد هذا الاكتشاف المهول « من أخذ يده بيده الواحدة وكتابه في اليد الثانية ليقول للناس : هذا هو الصاوى ، وهذا هو كتابه !

حياء الصاوي اكتشاف لا يفوز به سوى أنطون الجميل ، ولا يوفق اليه أحد سواه ، ولا يظفر به غيره ، والحياء شيء عظيم لا تدركه سوى نفس حيية عظيمة . . . ولكن ما بالك والصاوي ليس بحيي ولا هو من الحياء بشيء ؟

لقد أصدر الصاوي كتباً هي ، تاييس ، الزنبقة الحمراء ، افرودتيت ، وفي الحياة والحب ، وهي بين مترجمة وملخصة ، وأصدر أيضاً كتاب باريس وهو مجموعة لكثير مما كتب الادباء من شرقيين وغربيين عن هذه العاصمة العجيبة ونشرها بين الناس بكل بساطة ، بدون ما حياء وخجل وبغير حاجة إلى « من يأخذ يده بيده الواحدة ويأخذ كتابه باليد الأخرى ويقول للقراء هذا هو الصاوي وهذا كتابه »

توهم الجميل بك « الحياء » في الصاوي أو اكتشف هذه

العبقرية الجاثمة على صدر صاحبه

والحقيقة التي لا تمارى هي أن الصاوي ليس بحيي ، ولو كنت أعرف كلمة ناعمة مهذبة ضد كلمة الحياء لا تمس الكرامة الشخصية لذكرتها لأدلل على أنه ليس بحيي ، وما دمت لا أعرف إلا كلمة أتحاشى كتابتها فلا أقل من إقامة الدليل المادي على أن الصاوي ليس بحيي ، وان الجميل غير صادق في إطلاق صفة الحياء عليه ، إسمع ما يقول الصاوي في إعلانه عن كتابه الجديد « الملك الشاب »

١ — « ثغر زوجي كزهرة اللوتس ، نهدها رمانة الحب ، ذراعاها حيتان مقدستان تلتفان حول عنقي فيبسم لي القدر . . . أما جبينها الناصع ففيه سر الهوى » !

أي رجل في العالم ، همجي أو متحضر ، يقول في زوجه مثل هذا القول ؟

٢ — « إذا ما سمعت صوتك فهو الرحيق يسكرني ويشجيني وأني لا عيش من سماعه ... واذا ما رأيت وجهك فان كل نظرة فيك هي عندي خير من ألذ طعام وأذكى شراب . . . هنا أزاهير وفيرة أعد لك منها فراشك حتى تعود فتنام فأسهر قريرة العين إلى جانبك حتى الصباح ... قربك مني هو صحتي وشبابي »

أي فتاة تقول مثل هذا القول لخطيبها ؟

٣ — « في تلك الليلة يضاء ما حول القصر بالمشاعل تحملها الجنود كأعلام من النار رمزاً لأفراح الملك الظافر . . . وتعزف الموسيقى ... ويفرشون خدر الملكة بالزهور ، ويطلقون البخور ، وينضحون فراشها بالعطور ... ويضيئون المصباح الذهبي ، نورا على نور ... ويدخل فرعون »

هل وجدت أيها القارىء فيما اقتبست لك من جمل الاعلان الذي يوزعه الصاوي في المقاهي والبارات والصالونات وفي الشوارع ما يدل على « الحياء » هل وجدت فيه غير كلام السوقة وتعابير السفلة للتشويق وإثارة الشهوات الجنسية ؟

لم يكتشف الجميل صفة الحياء عند الصاوي صدفة، ولم يكدح الذهن في استنباطها ، انما أستشعر بها استشعاراً جذابا

كان يدخل الصاوي غرفة رئيس تحرير الاهرام هادئا ، يقدم خطوة متئدة ويتبعها بخطوة هادئة ، وعندما يبلغ المكتب يقف وهو منكب الرأس خافض النظر ، جامدا كالصنم ينتظر حركة من سعادة الرئيس ليقول له (بونسوار اكسلانس) مشفوعة بابتسامة خفيفة ويقدم له ما كتب للجريدة

يقول الجميل ان حركة الصاوي هذه هي الحياء بعينه ، وإنها بعيدة عن الثعلبة بُعد الثعلب عن الصاوي

ويقول الجميل بك بدعة أخرى عن الصاوي :

(انه نزوع الى الحياة البوهيمية) ونحن نسأله هل تتفق نزوات البوهيمي وشذوذه وبدواته وتمرده على التقاليد والعادات مع طبيعة الحياء ؟

حقا ان في مقدمة الجميل لكتاب ما قل ودل من الغرائب والمتناقضات والادعاءات والمفارقات ما يجعلنا نغتفر لادباء الشباب مغالاتهم ونحمدها لهم لان أضرارها على كل حال لا تربو على اضرار هذه الترهات التي نتحاشى تعليلها

يقول الجميل بك عن نفسه انه أديب ، وانه طرح الوظيفة ليتفرغ للادب ، وانه أرغم على خوض غمار السياسة ارغاما ، وان جل ما تتوق نفسه اليه خلوة صوفية في حديقة قصره بصحبة كتاب جديد ، ونحن نرى في ادعاء الاستاذ بعض الصحة لا الصحة كلها ، ونصارحه القول بانه أديب من النوع الطيع اللين ، وأنه سوف لن يصلب له عود للادب ، لانه الحياة ، وأن الحياة لا تطيب في مصر والشرق إلا للاديب أو المتمرد المنافح عن الحرية التي هي عصب الادب ، نعم أن الجميل بك أديب إنما من النوع (الغماز) بتشديد الميم يشبه رجلا مشبوب الشهوة ، يحاول مغازلة امرأة يريدها لنفسه فيغمزها بطرف عينه غمزة لا يحسها جفناه ويسكت ... حاسبا كل ضروب المغازلة وما يليها من غايات لا تقوم إلا على الغمز وحده . فشهوة الجميل بك الادب

إنما هي شهوة غمازة فقط لا تنفع الجميل ولا تفيد الادباء والمتأدبين

الغمز إحدى خلائق الأديب المثلى إذا استطاع به الغامز أن يترك أثراً بارزاً في المغموز ، أما الغمز الخاطف السريع غير الملموح الصادر عن طبيعة غير متمردة كطبيعة أنطون الجميل نفورة من الخصومات الادبية تؤثر الغمغمة على التصريح ، ان غمزاً كهذا لاقيمة له البتة ، فان كان له ثمة من أثر ضئيل فانه لا يتجاوز أثر دخان لفاقة من التبغ يتطاير مع الريح بلحظات معدودات

يعتقد الجميل أنه غمز الشاعر أحمد شوقي غمزة هدمت أركان شعره وقوضت بناء صرحه بقوله فيه أنه « شاعر الامراء » ويؤكد أنه بقوله هذا انكار صارخ وتمرد فظيع على لقب (امارة الشعراء) الذي تمتع به شوقي حتى موته . ولكن هل درى أحد من الناس ما رمى إليه الجميل بقوله عن شوقي بعد موته أنه (شاعر الامراء) وهل فرق أحد بين (شاعر الامراء وأمير الشعراء) إلا أفراداً قلائل من خاصة الادباء ؟

في ختام المقدمة الجملة التالية « بعض مقالات « ما قل ودل » وليد الحوادث اليومية العابرة يذهب معها وينطوي بطيها ، والبعض الآخر يتناول موضوعات اجتماعية وخلقية وقومية ثابتة لا تضيع بهجتها ، ولا تبلى جدتها . فسألته تخير طائفة من هذا النوع

الأخير وجمعها في هذا الكتاب ، فكنت مسئولا عن تقديمها اليوم للقراء »

لم يكتف الجميل بك بما غالط فيه القراء وباعد بينهم وبين حقيقة وواقع الكاتب الذي قدمه ، لم يكتف بما قاله اعتباطا في الصاوي فجاء هذا ينقض قوله وينفي دخيلة « الحياء » على طبيعته ويبرهن على أن الجميل لا يحسن التقدير ولا التعرف إلى نفسيات الأقربين إليه ، لم يكتف بذلك بل جاء متطوعاً يتحمل « المسؤولية » عن تقديم الصاوي للقراء ويستهين بالمسؤولية ذاتها لذلك نثبت هنا المقال التالي وقد نشرناه في جريدة المقطم عقب ظهور الكتاب :

* * *

لكل كاتب شخصية وطابع وأسلوب تدل عليه وتنم على طوية نفسه ، والأستاذ احمد الصاوي محمد واحد من هؤلاء الكتاب لا ينفك يطلع على القراء صبيحة كل يوم بكلمة في « الاهرام » يحاول إقناعهم بها بأن له شخصية وطابعاً وأسلوبا

غير أن نفسية الناقد جامحة بفطرتها قوية الشكيمة بطبيعتها لا تستهويها الحركات والايماءات ولا تؤثر فيها كثرة الترداد ولا تكرار الاسم، ولا أحسب ناقداً في مصر يتأثر بشخصية مؤلف

ما من كثرة تكرار اسمه بل يتأثر حقيقة بما تتركه كتاباته في نفسه من معان تدل على أن لخصائصه قيمة ووزنا

لا يطلب من القاريء العادي معرفة معايير شخصية الكاتب ولا أقيسة طابعه واسلوبه كما يعرفها النقاد ، انما يجب بل يتحتم على الناقد ان يدل القاريء عليها ، لا ليعلمه أوضاعها الفنية ، بل ليظهر له عناصر القوة او الركاكة ، الحسن أو القبح ، السمو أو الانحطاط في خصائص الكاتب

يقع كتاب الصاوي في جزءين فيهما أربعمائة وثمانون صفحة من القطع الصغير عنوانه « ماقل ودل » وأحسب أن ذكر العنوان وحده يكفي للدلالة على شخص مؤلفه لكثرة ما تلوك الالسنة اسمه صباح كل يوم

لم يلق هذا الكتاب الترحيب الذي كان يتوقعه كاتب مثل الصاوي يملا الارض والسماء عجيجاً وإعلاناً عن كتبه قبل جمع اصولها وطبعها وعرضها ، ولم يحفل به البتة كبار النقاد أمثال العقاد وطه والمازني وهيكل والمصري ومظهر بل أهملوه إهمالا كليا ، ولولا كلمة نفيسة قالها الاستاذ عباس حافظ في نقد الكتاب وتحليل نفسية مؤلفه وكلمة طيبة أخرى كتبها أديب من الاسكندرية سلك فيها مسالك الناقد النزيه في إظهار الحسنات والمساوىء ، ولولا مقالات كتبها بعض المتزلفين المدّاحين أطروا

بها المؤلف وتغزلوا بمظهر الكتاب وأناقة طبعه وصقالة ورقه لقلنا مقايضة تمت بين مؤلف « شاطر » وقاريء عادي بسيط لم يدر النقاد بها وفاتتهم أخبارها »

لا أحسب أغفال كبار النقاد ، ولا حملات الادباء الموفقة ولا امتداح المتزلفين ، تقلل من قيمة مؤلف الكتاب فالاستاذ الصاوي كاتب معروف عند قراء الاهرام وهم كثر ، وله في نفوس بعضهم — ولا شك — منزلة ، فالاغفال وحده من جانب النقاد لا يوضح شخصية المؤلف ولا يعرف طابعه توضيحاً وتعريفاً صحيحاً وكذلك حملات كاتب أو كاتبين وهراء جماعة من المتزلفين المدّاحين لا تكفي وحدها لمسح الطلاء عن خصائص المؤلف وإظهارها بمظهرها الطبيعي ، انما اعتقد أن الواجب المفروض على كبار النقاد هو أن

يدلوا القارىء على قيمة كل كتاب جديد ، سواء كان مؤلفه من المغمورين أو المشهورين حتى لا يقال انهم ينقدون مدفوعين أو يسكتون وهم مكلفون السكوت

اني أنزه كبار النقاد عن ذلك ولكن مواقفهم في المدة الاخيرة وحملاتهم الصادقة وغير الصادقة على أدباء الشباب تدعونا الى مطالبتهم بالمزيد ، أقول المزيد ولا أطلب الانصاف لأن صناعة النقد لم تتحرر بعد من قيود المحاباة وغيرها ، ولأن الانصاف أمر نسبي ! ! ولان القراء وأخص منهم الشباب بدأوا يقابلون ويوازنون بين نقد الناقد ونتاج المنقود ، فيميلون إلى ناحية قائل الصدق وينحرفون عن غير الصادق

رب قائل يقول ان المنزلة التي للصاوي عند قرائه لا تقوى حملات النقاد على زحزحتها لأنها قائمة على قواعد « الاهرام » الوطيدة المحصنة المدرعة ، ورب معترض آخر يقول ان بضاعة الصاوي الأدبية تصادف سوقا رائجة عند جماعات تؤثر البحوث الخفيفة على الدروس الرصينة . أما أنا فلا أنازع في ذلك لكني أقول أن سلامة نية القارىء يجب أن تكون بعيدة عن مواطن الاستغلال ومتناول الاستغلاليين ، وان مقام الناقد النزيه المخلص لفنه هو كمقام النائب العمومي المفروض فيه الحرص على الحق العام والسهر عليه ، أما إذا ترك « الشطار » من الكتاب على

طويتهم الاستقلالية ، وتقاعس النقاد عن نقد كل كتاب فهناك الخيانة للادب والفن وهناك البرهان على أن النهضة الأدبية زائفة وأن كل كتاباتنا وخطبنا ومؤلفاتنا هراء في هراء وأن صلة الكاتب بالقارىء هي كصلة التاجر المحتكر الذي يبغي الكسب الوافر من الشاري المحتاج ، وعندها تنتفي ادعاءات الكتاب وكبار النقاد انهم حملة رسالة الاصلاح والتهذيب وأساتذة الأخلاق والتعليم ، بل يصح أن يقال عندذاك في تعريف الأدب أنه أداة من أدوات العرض والطلب لا أكثر ولا أقل

ليعذرني كبار النقاد ان قلت أني لا أجد في سكوتهم عن المؤلفين سواء كانوا من مستوى الصاوي أو أسمى أو أدنى منه سوى المعنى الذي لا يشرف النهضة الأدبية والذي يثلم حتما سمعة الادباء والنقاد .

* * *

والآن ما ضرنا لو قلنا أن الصاوي كاتب أقعد به الترف وحب مظاهر الارستقراطية عن البحث الجدي والاستقراء الرصين والغوص في الموضوعات التي تعبر عن حاجات القارىء وشكاواه من الامراض الاجتماعية ؟

ما ضرنا لو قلنا حبا في الصاوي أن مقالاته القصيرة محبوكة بخيوط الدجل والتمويه منطوية على الغرض هائمة مع النزوات

خالية حتى من مسحة الصدق والامانة

ما ضرنا لو قلنا له أنه أصبح يسف فى موضوعاته وينحط إلى مستوى الدهماء فيكلمهم بلسان لا هو بلسانه ولا هو بلسانهم فيفترقوا عنه كأنهم لم يجتمعوا به ، ويعود هو إلى نفسه فيجد كأنه لا أخذ من القارىء ولا أعطاه شيئا ؟ !

ما ضرنا لو صارحناه بأن الكاتب الاجتماعي المصلح هو الذي يجتذب القراء إليه ليرتفع بهم الى مستواه لا أن ينحط اليهم فيضيع في تيه معهم

ما ضر الصاوي لو عرف أنه لا يفقه سوى الظواهر في حياتنا الاجتماعية فيعالجها معالجة « تمرجي » متمرن لا معالجة طبيب حاذق

ماضره لو عرف أنه عاجز عن خلق بحوث بقوة خياله وعواطفه شأن الكاتب الاجتماعي القدير وأن المشاهد « الهايفة » التي يتناولها بقلمه « الهايف » تتناثر في الهواء كأنها لم تكن

ما ضر لو قلنا للصاوي أن جمعه مقالات وضعت في الاصل لتكون رؤوس موضوعات خفيفة تنشر فى صحيفة يومية يعتبر استخفافا بعقول القراء واستخذاء بهم وان ليس كل ما يكتب وينشر يجمع ويطبع في كتاب ؟!

كنت أود أن أتناول أبواب الكتاب التي قسمها الى

قوميات وأدبيات واجتماعيات ووجدانيات وشخصيات ولذعات ، لأدلل على اللين العقلي ، والعجز الذهني ، وهجس الخاطر ، والمياعة السمجة ، والوطنية المريضة ، والحس المتحجر ، والشعور الميت ، أود ذلك ولكن ليس من شأن الناقد أن يجلد بالمؤلف وجه الارض بل عليه أن ينصح القراء — لوجه الادب — بأن كتاب « ما قل ودل » يصلح أن يلقى في سلة المهملات لا أن يكون في مكاتب القارئات والقراء ، وأخيراً كنت أود أن يبحث النقاد معي عن شخصية المؤلف وعن طابعه وأسلوبه لأني حاولت عبثا العثور عليها في كتابه الميت

عسى أن يتدبر الصاوي الحقيقة إذا كان من طلاب الحياة الادبية وليت انطون بك الجميل يقدر الصراحة ويهمل الغمز الخاطف

طابع أدباء الشيوخ

محمد حسين هيكل — عبد الله عنان — مصطفى عبد الرزاق

ان القصد الذي قدمناه في كتابة هذه الفصول ، والغاية التي صبونا إليها هي الاستعراض والمقارنة والموازنة ، بها نستدل على طابع أدباء الجيل الجديد ممن يحملون رسالة الادب ، ومنها